الرمز الديني وآلياته في أدب نعيم آل مسافر

محمودرضا توكلي محمدي

الأستاذ المساعد، فرع تعليم اللغة العربية وآدابها بجامعة فرهنكيان، طهران، ايران

على خالقى

الأستاذ المساعد، فرع تعليم اللغة العربية وآدابها بجامعة فرهنكيان، طهران، ايران

مرتضى كامل فيصل الزويدي

الماجستير في اللغة العربية و آدابها، عراق

Religious Symbolism and Its Mechanisms in the Literature of Naim Al-Musafir

Mahmoud Reza Tavakoli Mohammadi
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature,
Farhangian University, Tehran, Iran

Ali Khaleqi
Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature,
Farhangian University, Tehran, Iran

Mortada Kamel Faisal Al-Zuwaidi
MA in Arabic Language and Literature, Iraq

ملخص البحث

أنّ للموروث الديني أهميته في الأدب العربي الحديث والمعاصر؛ إذ يعدّ التراث منبعاً من منابع الإلهام النصّي، الذي يعكس أسلوب الكاتب عبر الرجوع إلى روح العصر، ويعيد بناء الماضي، على وفق رؤية إنسانية معاصرة. و هذا يعني أن الماضي يعيش في الحاضر، ويرتبط معه بعلاقة جدليّة تعتمد على التأثير و التأثر. الروائي في استعماله للرمز لايفكّر بالعقلية الدينية، ربّما يكون بإمكان الصوفي أن يعبّر عن رؤيته أحياناً في مراحلها الأولى، ولكنّه حين يتعمق في تجربته ويتقدّم في الطريق، يعجزه التعبير عن رؤيته، ولكن رؤية الأديب وسيلة إلى التعبير وهو مهما تعمّق في تجربته، وأوغل في ثنايا الذات الإنسانية فإنَّ رؤيته تظلّ ماثلة أمامه. تقوم هذه الدراسة على موضوع الدلالة الرمزية وأهميتها في العالم الروائي وأثرها في تشكيل البنية السردية للعمل. ولأهمية هذا الموضوع في الساحة النقدية العربية رأيت بعد مشاورة مع الأساتذة والمتخصصين أن يكون مجال دراستنا في الدلالة الرمزية، حول روائي عراقي مهم، هو الروائي نعيم آل مسافر فصار العنوان (بنية الرمز الديني في القصص القصيرة لنعيم آل مسافر)، ووقع اختيارنا لهذه الدراسة، لأسباب عدة، منها استحقاق نتاج الروائي أن يكُتبَ عنه، فهو وإن كتب عنه الكثير إلا أن هذا البحث يعد بكرا في هذا المجال، ومن أهمّ نتائج البحث: تجليّات الكتب السماوية مثل القرآن الكريم والتوراة والإنجيل، الفضاء الديني، المكان المقدّس، الشخصيات الدينية نحو ملة عليخان، جمهوري، نبيل. المنهج الذي اعتمدناه في هذ البحث هو الوصفي التحليلي بحسب قصص كوثاريا، وأصوات من هناك، ولحياة غير مكتوبة.

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم، الرمز، الرواية، نعيم آل مسافر، الدين

Abstract

There is no doubt that religious heritage has its importance in modern and contemporary Arabic literature. Heritage is considered a source of textual inspiration, through which the writer reflects the spirit of the age, and reconstructs the past, according to a contemporary human vision. This means that the past lives in the present, and is linked to it in a dialectical relationship that depends on influence and being influenced. The novelist, in his use of symbols, does not think with a religious mentality. Thus, the Sufi can sometimes express his vision in its early stages, but when he delves into his experience and advances on the path, he is unable to express his vision. However, but the writer›s vision is a means of expression, and no matter how deeply he delves into his experience and delves into the folds of the human self, his vision remains constantly unchanged. This study is based on the topic of symbolic significance and its importance in the novelistic world and its effect on shaping the narrative structure of the work. Due to the importance of this topic in the Arab critical arena, I decided, after consulting with professors and specialists, that the field of this study should be in symbolic significance about an important Iraqi novelist, Naeem Al Musafir. Hence, the title became 'The Structure of Religious Symbolism in the Short Stories of Naeem Al Musafir'. There are several reasons behind choosing this study, the most important of which is the novelist's production deservedness

of being written about. Although much has been written about him, this study is considered a first in this field. It is found that manifestations of divine books such as the Holy Quran, the Torah and the Bible, as well as religious space, holy place, religious figures such as of Ali Khan, Jumhouri, and Nabil. The method we adopted in this article is descriptive and analytical according to the stories of Kotharia, Voices from There, and For an Unwritten Life.

Keywords: Holy Quran, symbol, novel, Naeem Al Musafir, religion

١-المقدّمة

يعدّ الرمز من أهم الأمور الدالة على ما وراء الظاهري مع اعتبار المعنى الظاهري مقصوداً أيضاً ويعد أحد أهم الإمكانيات التعبيرية في النص، شريطة أن يوظف بشكل فني فاعل وإلا يكون حضوره في النص عبارة عن إشارة عابرة تهدف إلى إضاءة موقف أو جزء من النص فيصبح ذلك ثانوياً وهو غير ملتحم بالمضمون الدلالي للنص ويبنى الرمز في جوهره على إقامة علاقة أو علاقات غير مدركة حسياً بين شيئين أحدهما تجريدي كائن في الشعور أو الذهن والآخر مدرك حسي مرئي أو مسموع وقد تأثر الرمزيون بالفلسفة المثالية التي تقول بوجود عالمين، عالم المثل وعالم الأشياء المحسوسة، فالأول عالم الحقائق المطلقة وأما الثاني فليس سوى انعكاس لها حيث كان تأثرهم بشكل خاص بفلسفة (كانط) التي تؤمن بأن جوهر الأشياء يكمن في العالم الباطني، فالأدب في نظرهم يجب ألا يكون وصفياً أو روائياً بل إيحائياً وأن يتكلم المرء كأديب أن يكتفي بالتلميح عن الأشياء أو أن يستخرج صفتها التي تجسم فكرة ما فليس للقارئ أن يقاد بيده إلى مواطن فكرة الأديب الدقيقة بل عليه أن يجد الفكرة التي يتضمنها حقل العمل الأدبي وهو من الوسائل المهمة في الأدب إذ يعتمد به الأديب إلى الإيحاء والتلميح دون اللجوء المباشر والتصريح والرمز يختلف بطبيعته عن الإشارة والاستعارة والتمثيل. وما هو إلا وجه مقنع من وجوه التعبير بالصورة.

وخصوصية الرمز أن يأتي في جوهره غامضاً، فهو يوحي بالشيء دون أن يوضحه، لذا يكون عصياً على الإدراك فيخلق صدمةً أو ذهولاً للقاريء يتطلب معه قدرات ذهنية تساعده على الفهم والتأويل، وهذا ما يفسر الغموض في الأدب العربي

الحديث إذ إن العربية لم تكتسب بعد قوة الإيحاء لأن كتّابها لم يعتادوا استغلال القوى الكامنة وراء الألفاظ استغلالاً تاماً إلا حديثاً حيث كانت تستعمل اللغة بمعانيها الشائعة وحدها، لكن مع الرمزية والسريالية أصبحت اللغة الشعرية تعتمد على الإيحاء للألفاظ لأنها حملت اللغة العربية أثقالاً من الرموز والأحلام الباطنية والخلجات الغامضة واتجاهات اللاشعور.

والأدب الرمزي يقف على مستويات القراءة، فقد يقرأ النص قارئ عادي فلا يفهم المغزى منه! وقد يقرؤه قارئ آخر متأمل فيفهم ظاهره ثم يتعدى إلى مرحلة إدراك ما تحت المعنى الظاهر، ثم يقرؤه ثالث فيتبادر إلى ذهنه معان أخرى لم يكن يفطن إليها غيره، وهكذا بحسب متلقي النص ومستواه وقوة بنائه الثقافي ومقدرته على التأويل. والبحث في موضوع الرواية الرمزية يتشعب إلى دراسات وميادين شتى منها ما هو على صلة بالطبيعة اللغوية للأدب الروائي نفسه أو ما يتصل بميادين البحث والدراسات الإنسانية الأخرى كالأنثروبولوجيا وعلم النفس وغيرها.

أما في أدبنا العربي فلم تكن الرمزية بغريبة عليه بل هو أقدم من تنظيرها في الأدب الغربي، فقد عبر الروائي العربي رمزاً في الكثير من الوقائع لأسباب ودواع شتى كما يطالعنا سجلنا الأدبي في ذلك. على الرغم من الاختلاف بين الرمزيه كمذهب أدبي نشأ في الغرب والرمزية العربية التي لم تكن واضحة في سجل النقد العربي القديم على الرغم من وجودها في كثير من النماذج النثرية. وعلى وفق هذه النظرة وقع اختيارنا على روايات الروائي العراقي نعيم آل مسافر.

والعينة التطبيقية لهذه الدراسة، كانت على الخطاب الروائي العراقي

للكاتب نعيم آل مسافر ودلالته الرمزية، فالرواية جنس أدبي حيوي، قائم على التعالق مع غيره من المعارف والآداب، مما يوفر للدارس، نصاً مرناً قابلاً للبحث والدراسة، والرواية العربية، رواية إشكالية في نشأتها وتطورها، ومن ثم اتجاهاتها المختلفة، لانقسامها بين خطاب الأنا (التراث العربي/ القومي) وخطاب الآخر الغربي، ولكون الرواية العربية، نشأت في أحضان هذه الإشكالية، لذلك بقيت تحمل في طياتها روح المفارقة، البحث عن الذات (الهوية)، والانتماء القسري لحضارة الآخر.

وروايات نعيم آل مسافر (كوثاريا: ٢١٠٦، أصوات من هناك: ٢٠١٧، لحياة غير مكتوبة: ٢٠١٨، حلم أوروك: ٢٠٢٠، لعنة الامريكان: ٢٠٢٠)، تحمل في طياتها خصائص وروح هذه الإشكالية وتسجل حضورها، لكونها امتداداً طبيعياً لخطاب وفكر هذا الكاتب، ولتناولها فترة تاريخية مهمة ومحددة بدقة من تاريخ العراق الحديث، وتعالقها مع تاريخ العراق المعاصر (الانسان والذاكرة) وحملها لاكثر من إشكالية، ولاسيما تقاطع ضربين من الخطاب عبر فضائها النصي (الخطاب التاريخي والخطاب المتخيل) مما يشكل تحدياً للباحث وهو يحاول تحديد العلامات المتداخلة بين هذين الخطابين.

ويمكن تحديد إشكالية الدراسة، في تحديد مفهوم الرمز، والدلالة، يتبين أن المنهج الدلالي، بحث عام يشمل جميع أنظمة التواصل، على اختلاف مرجعياتها المعرفية من علوم ومعارف وآداب وطقوس، ويبرز الأدب بوصفه نظاما تواصلياً له خصوصية مميزة عن غيره من الأنظمة التواصلية الأخرى، فكل نظام تواصلي غير النظام الأدبي، يقود القارئ - في أغلب الأحيان - إلى

قراءة مبرمجة أحادية المعنى تتوافق مع نظام فك شفراته، قراءة لا تتغير فيها دلالات الأشياء إلا بحسب خروجها على السياق الذي أنتجت فيه، بينما الأدب بوصفه نظاماً يهدف التواصل يسعى جاهداً إلى عدم الكشف بسهولة عن مدلولاته وآليات بناءه، ويستخدم في الأغلب التلميح دون التصريح، مما يفرض خصوصية في التعامل معه، وتتجلى هذه الخصوصية في المرونة التي منحها الرمز لقارئ الرواية، وهذه المرونة حررت النص والقارئ من القراءة الآلية المبرمجة لعلامات النص الأدبي موجهة إياه نحو قواعد علمية صارمة واجتهاد فردي ذاتي في وقت واحد، ولأهمية نتاج نعيم آل مسافر الروائي وقع اختيارنا على دراسة ثلاث روايات من نتاجه الكبير (كوثاريا، أصوات من هناك، لحياة غير مكتوبة) لأهميتها ولطبيعتها السردية التي تتخذ من الرمز عنصراً أساسياً في بنائها.

١-٢. أسئلة البحث

ما الرموز الدينية التي وظفها الكاتب وماهي دلالاتها؟

ما هي فاعلية دلالة الرمز القرآني في روايات نعيم آل مسافر؟

١-٣. الدراسات السابقة

١) الانحراف في استخدام الرموز والإشارات في رواية الحرف القرمزي،أزهر سليمان، آداب الرافدين، ٢٠٠٨، المجلد ٣٨، العدد ٥١. يؤسس ناثنيل هوثورن روايته (الحرف القرمزي) (١٨٥٠) بنويا على استخدامات الرمز والإشارة، الأمر الذي جعل كثيراً من النقاد يصفون روايته بأنها مثقلة بهذين العنصريين. لقد استخدم هوثورن منهجاً روائياً لغوياً لم يسبقه أحد به من قبل. فقد طبق نظرية العالم اللغوي السويسري فرديناد دي سوسور قبل خمسين عاماًمن ظهورها مما يؤكد أصالة الكاتب وحسه اللغوي المرهف في

عمله الإبداعي واستخدامه قيما تعبيرية إبداعية لوصف المدلول بطريقة غير مألوفة. يتناول البحث الفروق الفنية بين الرمز والإشارة وتحليل استخداماتهما في النص طبقا لنظرية دي سوسور اللغوية والتي تقول بأن ما يميز اللغة الأدبية هو في انزياحها من المستوى القاموسي إلى المستوى المجازي.

٢) الرمز في الرواية العراقية المعاصرة (حمار على جبل، لعبد الستار ناصر إنموذجاً)، م. د. جابر حسن هرم، مجلة ديالى للبحوث الإنسانية، ٢٠٢٢، المجلد ٢، العدد ٩٣. يعمل هذا البحث ويشتغل ككل الدراسات الأكاديمية والنقدية في بداية نهوضها على التنظير للموضوع قيد الدراسة- الرمز في الرواية - بشكل عام، ومن ثم تحليل فاعلية الرمز في رواية حمار على جبل للروائي العراقي الراحل عبدالستار ناصر، والذي لم يحض بدراسة تغطي مساحة هذا الموضوع بأي عمل من أعماله التي كان للرمز فيها مساحة سردية تستحق الاهتمام وخاصة رواية حمار على جبل التي كان له فيها حضور يفتح لعامل الكبت والغليان والضجر والتأزم الإنساني والنفسي العميق الحفر، والذي بلغ مداه عند المؤلف، إلى الانثيال، والانسياب بشكل جلي بائن على امتداد متن هذه الرواية، والتي تعد بحق رواية الرمز المتفجر بالدلالات والإيحاءات والمعاني التي وردت في سلسلة أحداثها.

٣) الرمز واشتغالاته في النص الشكسبيري (مسرحية العاصفة أنموذجاً)، كاظم جبارة سلطان، مجلة جامعة بابل، ٢٠٠٨، المجلد ١٥، العدد ٤. يعدّ الرمز أحد الأدوات التي يستخدمها الكتاب في الأنواع الأدبية، سواء كان شعراً أم روايةً أم قصةً أم مسرحيةً، لتأكيد قدرة الكاتب على استخدامه من جهة ومن جهة أخرى

يستخدمه كإحالة صورية أو حسية تزيد وتقوي النص متانة وجمالا. ويأخذ استخدام الرمز مديات تتيح للكاتب فرصة لإنتاج المعاني والرؤى والثقافات بشكل فني وجمالي، وفي الوقت نفسه تتيح فرصة لمتلقي النص ليفك هذه الرموز وهذه الشفرات لينتج هو الآخر أفكاراً ومعاني قد تكون قريبة أو بعيدة مما قصده الكاتب.

٤) البعد الرمزي في رواية رأس الحسين للروائي البحريني عبد الله خليفة الرأس أنموذجا، م. د. خولة حسن يونس، مجلة والقلم، ٢٠٢١، المجلد ١، العدد ٤٠. يحوي تاريخنا الإسلامي عدداً كبيراً من الشخصيات التي تشكل رمزاً أدبياً مؤثراً، وقد استلهم الروائي عبدالله خليفة من تلك الشخصيات العظيمة شخصية سيد شباب أهل الجنة الحسين عليه السلام؛ ليكون رمزاً لما أراده من موضوع روايته قدم نصاً سردياً مفعماً بالشعرية وبلغة إبداعية عالية. والنص الروائي رأس الحسين لعبد الله خليفة، يغري بالدراسة من جوانب مختلفة، لما فيه من غنى وتنوع في الدلالات الرمزية ومن أنماط التراكيب. الدلالات الرمزية لرأس الحسين (عليه السلام): ١. الدين. ٢. المغنم. ٣. القدسية والهيبة. ٤. صوت الضمير الإنساني. ٥. صدق النبأ. ٦. الإشارة إلى تكلم الرأس على الحقيقة. ٧. الدفء والأمان والحنان. ٨. الشموخ والإباء ٩. لعنة الله على الكافرين. ١٠. الإشارة إلى الجدل التاريخي القائم حول رأس الحسين ومدفنه. ١١. الخلود. ١٢. الثورة.

ـالخاتمة، تتناول أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وتختلف هذه الدراسات عن دراستنا هذه في النموذج المدروس إذ لم يسبق أن أختصت دراسة أكاديمية سابقة بدراسة نتاج نعيم آل مسافر الروائي.

٢-الإطار النظري للبحث

٢-١. الرمز في الاصطلاح

إنّ التصّور العام لمفهوم الرمز هو الإشارة فقد ورد تفسير (إِلَّا رَمْزًا) في أغلب كتب التفسير بأنّه الإيماء والإشارة، وهذا المعنى نقله الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) عن قتادة بقوله: الرمز الإشارة،[١] وقد جاءتنا من كتب النقد القديمة إشارات متعددة تدلُّ على مفهوم الرمز، ومنها ما ذكره قدامة بن جعفر (ت ٣٢٧ هـ) في تعريفهِ للإشارة هو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معانٍ كثيرة بإيماءٍ إليها، أو لمحةٍ تدلُّ عليها ضمن هذا اللفظ[٢].

أما الدراسات الحديثة فقد تعددت تعريفاتها للرمز، فقد عرَّفه بعضهم على أنَّه الإشارة إلى غير محسوسٍ بكلمةٍ دالة عليه، أو محسوس، على معنى غير محددٍ بشكل دقيق، ومختلف حسب خيال الكاتب، وقد يتفاوت القرّاء فهماً وإدراكاً لمداه، بمقدار ثقافتهم، ورهافة إحساسهم، فيتبين بعضهم جانباً وآخرون جانباً ثانياً، أو قد يبرز للمتلقي فيهتدي إليه المثقف بسهولة.[٣] ويُعدُّ الرمز من الوسائل الفنية المهمة في الأدب، فهو الوسيلة التي يعتمدها الأديب لإضفاء عالم متخيل على شعره لينقل المتلقي من المستوى المباشر في النص الأدبي إلى المعاني والدلالات الإيحائية التي تكمن وراء الكلمات، كما يقوم باستكمال ما تعجز الكلمات عن تبيانه، عبر أسلوب أنماز بالإيجاز أي (الكثافة) والإيماء أي (الإشارة) والإيحاء الذي يعطينا فيوضات جمالية في التعبير اللغوي، والصوري، والإيقاعي ضمن نطاق العمل الأدبي،[٤] فالأديب يعمد إلى خلق عوالم جديدة تختلف عن عالمَ المعيش بإعمال الخيال لصنع زمن خارج عن حدوده الميتافيزيقية في محاولة للنفاذ إلى ما وراء الواقع وصولاً إلى عالمٍ من الرؤى والأفكار، سواء أكانت أفكاراً

تعتمل داخل الأديب بما فيها عواطفه، أم أفكاراً بالمعنى الأفلاطوني بما تشتمل عليه من عالم مثالي يتوق اليه الإنسان ويحقق له الفنان فنه والاديب أدبه،(٥) وهو باستعماله لهذه الرموز يزيد عمله الأدبي أصالةً وعراقةً ويمثل نوعاً من اتصال الماضي مع الحاضر، وتسلل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة المعطاء، كما أنّهُ يمنح الرؤية الشعرية نوعاً من الشمول والكليّة فيها،(٦) فعلى الأديب توظيف الرمز توظيفاً جمالياً يجمع فيها بين أصالته التاريخية وانفعاله الخاص الآني الذي تتكون بها صورة جمالية جديدة ليست هي صورة الرمز وإنما تحاكيه لأنَّ الرمز ليس تجريداً وليس ذهنياً فقط، بل بينه وبين الموضوع المعين تكون علاقة تداخل وامتزاج.(٧)

٢-٢. الرمز في القرآن الكريم

الرمز فهو ما أخفي من الكلام، وأصله للصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم، وهو الذي عناه الله -عز وجل - بقوله: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾، تفسير الرمز بالإشارة بالحاجب أو الوحي بالرأس، تقريب لا يفوتنا معه أن الإشارة الرمزية تكون باليد وبالحاجب،(٨) وبغيرهما، ويرى الفراء في معنى الآية: ان الرمز يكون بالشفتين والحاجبين والعينين، وأكثره يكون في الشفتين، وهذا كله رمز،(٩) وإنما يستعمل المتكلم الرمز فيما يريد كتمانه واخفاؤه عن كافة الناس، والتصريح به الى بعضهم الأخر، جاعلاً الحرف أو الكلمة اسماً ضمن أسماء الطير أو الوحش، أو كسائر الأجناس الأخرى، أو حروف المعجم حرفا منها، ويرشد من يريد إفهامه رمزه إلى ذلك الموضع، بالنتيجة يكون ذلك القول مرموزاً من الأخر مفهوماً بينهما، وجاء في نتاج الأقدمين من الحكماء والمتفلسفين الشئ الكثير من

الرموز، ومن أكثرهم استعمالاً للرمز أفلاطون، وهناك أشياء عظيمة القدر من الرموز في القرآن، جليلة الخطر، فيها ما يكون من العلم في هذا الدين من الممالك والملوك، والفتن والعُصَب، ووقت كل الاصناف وانقضائها، ورُمز بالمعجم وحروفه والأقسام الأخرى كالتين والزيتون، والفجر والعاديات، والشمس، والعصر، وعرف الأئمة المؤتمنون علم القرآن علمها، ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام (ما من مائة تخرج إلى يوم القيامة إلا وأنا أعلم قائدها وباعثها، وأين مستقرها من جنة أو نار)؛ وروى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن حسم وألم وطسم، وغير ذلك من الحروف الواردة في القرآن؛ فقال: ما أنزل الله كتاباً إلا وفيه سر، وهذه أسرار القرآن، وهي حروف الجمل، ومنها كان علي يعلم حساب الفتن، فهذه الرموز هي أسرار آل محمد، ومن استنبطها من ذوي الأمر وقف عليها، فعلم عظيم ما أتاهما الله إياه من الحكمة والمعرفة،[١٠] وعلى وفق ما تقدم يكون للرمز في النص القرآني معان وتعبيرات لغوية يكونان كلّا لا ينفصل فيه أحدهما عن الآخر، ذلك أن مكان الكلمة من الجملة وموسيقى العبارات والتركيب العضوي للجمل القرآنية والهيئة المثلَى التي تتدفق فيها العبارات القرآنية الرمزية إلى دلالات واقعية حية بإيقاعات ونبرات محكمة مؤثرة.

٢-٣. الروائي العراقي نعيم آل مسافر

نعيم آل مسافر من مواليد ١٩٧٠ العراق مدينة ذي قار، الشطرة. بكالوريوس اللغة العربية جامعة ذي قار. وأخذ دبلوم من معهد النفط بغداد. هو عضو اتحاد الأدباء والكتّاب العراقيين وعضو منتدى الشطرة الإبداعي ومديرفني شركة توزيع المنتجات النفطية. و من الجوائز التي اكتسبها هي: جائزة النور للإبداع

المركز الأول في المقال مؤسسة النور للثقافة والإعلام عن مقال: رسائل من أم حسون ٢٠١١؛ جائزة النور للإبداع – المركز الثالث في القصة القصيرة عن قصة (نهايةالحرب) ٢٠١٣؛ الجائزة الثالثة في مسابقة محمدالحمراني للرواية عن رواية كوثاريا ٢٠١٢؛ جائزة مبادرة أدب تجمع ناشرون في الأردن في القصيرة القصيرة عن قصة هو ٢٠١٣؛ جائزتين في المسرح من مهرجان المسرح الحسيني العالمي الثالث والرابع عامي ٢٠١٢ و ٢٠١٣ على التوالي؛ القائمة القصيرة جائزة بغداد للرواية عن رواية (كوثاريا) ٢٠١٦.

الكتب الصادرة:

- غريب الحق، شعر، دار الينابيع، سوريا ٢٠١٠
- تجاعيد وجه الماء، مجموعة قصصية، منشورات مجلة الشرارة، العراق ٢٠١٢
- الرواق الأخير، نص مسرحي، صدر ضمن مجموعة مشتركة من عشرة نصوص، دارالضياء، العراق ٢٠١٢
- حسون ٣١٣، نصوص أدبية، دار تموز، سوريا، ٢٠١٣
- كوثاريا، رواية، دار ميزوبوتاميا، العراق، ٢٠١٤
- أصوات من هناك، رواية، دارشهريار، العراق ٢٠١٧
- كنز أوراك، كتاب كوميكس للأطفال، منشورات مجلة قنبر للأطفال، العتبة العلوية، العراق ٢٠١٨
- لحياة غير مكتوبة، رواية، دار الرافدين، لبنان، ٢٠١٨
- أبجدعراقي، كراس تعليمي للأطفال، متحف الناصرية الحضاري، العراق ٢٠١٩
- حلم أوروك، رواية فتيان، دار قناديل، العراق ٢٠٢٠
- كبوة جواد، مجموعةشعرية، منشورات مجلةالشرارة، العراق ٢٠١١

٣- دراسة تحليلية

إنَّ اتصال الرمز بالإنسان بات مسايراً لكل مجالات الحياة، والدين في مقدمتها بدائياً، حيث ظهرت الرموز الدينية الخاصة لتكون لغة مشابهة للغة الأحلام والأساطير، تمكن الإنسان من التعبير عن أفكاره ومشاعره، ولتحقق له توازنه الداخلي، لأنها توصله بالسماء المقدسة على مر الزمن، إلى أن أصبح للدين ثوابت وأسس لكل بلد أو أمّة أو جماعة، وإن هذه الرموز تعبر دون شك عن عنائه النفسي المرجو، ففكرتي الخير والشر وما يرتبط بهما من صفات أو قيم إيجابية أو سلبية، لا يمكن إدراكها إلا بوساطة رموزهما المتعددة بتعدد المعتقدات وتنوعها، وذلك لحاجة الإنسان منذ بداية وجوده إلى فهم وتفسير أفكاره ومشاعره ونوازعه وتعليلها، من أجل أن يؤسس لذاته مكاناً في دائرة الموجودات بوصفها متصوراً دينياً يمكن تجسيدها في صورة جامعة لكل الأفعال التي يراها مهددة لوجوده المادي والمعنوي أو النفسي. إن للرمز الديني طاقة تعبير وتأثير روحي على المتلقي وهي في الوقت نفسه عقبة للبوح والتعبير، فهي سياق ينزاح إليه أغلب الكتّاب في محاولة منهم للتعبير عن القلق والتأزم. والرمز الديني هو دالّ مفهوم ويمثل أهم المرجعيات الحضارية التي تختزن الذاكرة بها، وقد اتَّخذ الأنبياء من الشخصيات الدينية خاصة التي كانت محور القصص القرآنية قناعاً يُظهِرُون عبرها تجلياتها النفسية والتي تخاطب المتلقي خطاباً مباشراً مقنعاً كونه يثق بما تحمله من دلالات روحية، مما يمنحهم قدرة إضافية لتحقيق أسمى أهداف رسائلهم الإبداعية المتمثلة في الإمتاع والإقناع، بما يضفي عليه الرمز من طاقات متجددة تجعله أكثر تكثيفاً، لأن ألفاظ القرآن مكتنزة بالبيان الذي يغني الصورة بالدلالات واسعة المعاني،

ولذلك نجد ميلاً شديداً من الأدباء على اختلاف العصور التي ينتمون إليها بما فيها هذا العصر إلى توظيف شخصيات ورد ذكرها في القرآن الكريم، في قصد متعمد لتشكيل صورهم على أساس قيمتها، واتخاذها قناعاً يوجهون النقد لواقعهم بها

والرمز الديني -تحديدا- يمنح النص أبعاداً نفسانية روحانية (ميتافيزيقية) جوهرانية موغلة في مكونات الذات، مما ينتج عنه خلخلة لنمطية الإيحاءات الخطابية.[١١]

يتحرك الرمز الديني في الأدب على أساس قوة إيحائية تتحول بها الكلمات إلى حوامل لقوى سرية ورمزية تستبطن السحر الجمالي للكلمات والأشياء التي يعيش تجربتها الأديب على وفق حالة يشعر بها فتكوّن هذه الحالة شيئاً من التقديس والخضوع لفكرة الغياب[١٢] التي تنكشف في أتيان الكلمات من جانبها المقدس، فأصبح الأديب رسولَ لتلك الرسالة التي كانت تبعثها السماء[١٣] الذي يحاول أن يفك طلاسمها وخفاياها باحثاً عن لغز الكون والحياة.

ولعل هذه الأفضلية التي كان يتمتع بها القول السردي ورموزه تصدعت وتلاشت مع حضور النصوص المقدسة) (التوراة والإنجيل والقرآن) الذي كان معجزة بلاغية وإنسانية وأسلوبية انطوت على معان تقديسية وجودية ودينية تجاوزت تجربتها وعمقها تجربة الأدب وعلاقاته مع الوجود والكلمات، فأصبح الأدب انعكاساً لمعاني القرآن ورموزه وتعاليمه وتجلياته الكونية فوجد الأديب نفسه أمامها مستقياً من هذه المعجزة التي تتمتع بعمق التجربة وصدقها. وتكشف لنا المدونات التاريخية والأدبية أن حضور النصوص المقدسة في الأدب قد أتخذ صوراً كثيرة تبلورت في الاقتباس والتناص

والحوار وفي أشكال كثيرة كانت تخضع رموز النصوص المقدسة للتذويب والامتصاص والتحوير؛ لكي تستجيب لمعطيات النسق السردي وانزياحاته الفنية، فالاقتباس والتناص لم يفارقا الأدب العربي والغربي إلى أن دخل مفهوم الرمز بشكله المتطور في العصر الرومانسي أو الحداثة التي انتقدت التراث والنصوص المقدسة في الغرب مما سبب حالة من الجمود والتكرار للرموز الدينية الغربية، مما دعا اللاهوتي الغربي (جون شيا) إلى القول: عندما تصبح النظم التقليدية لتفسير التجربة الإنسانية مقنعة ومحفزة عاطفياً مرة أخرى، وعندما تصبح الرموز الدينية القديمة مملة بدلاً من أن تكون مقدسة، وتبدو اللغة الدينية متحجرة بدلاً من كونها حديثة وحيوية، عندئذٍ يعود الإنسان إلى التجربة. هنا يأمل في إيجاد الحقيقية بطريقة بدائية،[١٤] يعيد صياغتها من طريق تجربته الخاصة والجديدة في السياق السردي، فانفتحت القصيدة الحديثة الغربية على الرموز الدينية متجلية في نصوص التوراة والإنجيل أغنت وكثفت من معان ودلالات النص السردي؛ إذ كان التوجه الرمزي والديني يعد ملمحاً من ملامح التجديد في القصيدة الحديثة، فإن القصيدة العربية حاولت الانفتاح على الرموز الغربية ومن ضمنها الدينية فكانت رموز الإنجيل منبعاً وملهماً لمعظم الكتّاب، ولعل ما ساد من ظروف تاريخية واجتماعية في الوطن العربي أدت إلى حالة من الاغتراب والقهر في الأوساط الثقافية، فكان التراث ورموزه الدينية بمثابة رافد يعمل على محاولة إعادة حالة التوازن في الوعي العربي،[١٥] وما لجوء الكاتب العربي للرمز إلا قناع وتقنية يمكن بوساطتها فضح وكشف زيف

الواقع وأيديولوجية السلطة القهرية التي تسيدت العالم العربي، حاول الأدباء أن يستمدوا من صور التراث الديني يعيدون توازنهم العاطفي والنفسي لما كان للدين من جانب إيماني وتقديسي، لما تتمتع به هذه النصوص الدينية ورموزها بخاصية وجوهرية ملامح ومميزات تلتقي وتتداخل مع طبيعة وماهية الأدب في البحث عن الغياب والمخفي والمستور؛ ألاأن الطبيعة البشرية ووعيها المعرفي ينزع نحو حفظ وتذكر الجانب الديني فلا تكاد ذاكرة الإنسان في كل العصور تحرص على الإمساك بنص إلا إذا كان دينيا أو شعريا[١٦] ولقد عُدَّ القرآن الكريم والإنجيل والتوارة رافداً مهمّا للأدب العربي المعاصر، استطاعت فئة من الكتّاب العرب المعاصرين أن تقتبس من القرآن صياغات أسلوبية جديدة حاولت كشف الواقع العربي السياسي والاجتماعي والثقافي الذي يتحيز إلى النفاق والكذب، ليبرز الرمز الديني في الكون الأدبي فيضفي بعداً جديداً يتخذ من صدق المشاعر والأحاسيس تقنية فضح لهذا الواقع، لذلك اندفع الكتّاب العرب نحو خلق رموز جديدة وبعث أساطير قديمة واقتحام أرض مجهولة واستعارة لغة دينية وآيات قرآنية.[١٧]

٣-١. الكتب السماوية (القرآن الكريم، التوراة، الإنجيل)

ومن الرموز الدينية التي استعملها الروائي نعيم آل مسافر ما نطقت به الكتب السماوية فنراه يتناص مع آيات تلك الكتب بطريقة مباشرة أو يمتص ما فيها من دلالة ويبثها في نصوصه، ومنها نصه: «قطعوا مسافة من الطريق وهو مستغرق في تفكيره وحيرته حتى لفت إنتباهه غلاف كتاب بألوان قوس قزح عنوانه (إل جي بي

تي)، وتحت العنوان عبارة: (بحث تأريخي أنثوغرافي في التوجه والسلوك والهوية والأسباب والعوامل، تأليف الدكتور أدهم العوض).فتح الصفحة الأولى، لعله يعرف شيئاً عن محتوى الكتاب، قرأ فيها ثلاث اقتباسات خمن أنّ المؤلف اختارها عتبات نصية أولى لمحتوى كتابه: (فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء) (سفر التكوين: الإصحاح١٩) (من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته) (إنجيل مرقس، ٧، ٦: ١٠). ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِن الْعَالَمِينَ﴾ (سورة الأعراف: الآية ٨٠). فهم شيئاً ملتبساً عن الكتاب وأراد التأكد. ذهب إلى الغلاف الأخير؛ فشاهد على الغلاف صورة الرجل الأصلع الذي ناداه بزوجته الحبيبة قبل قليل عنها عند الضفة، وهو الآن يقود السيارة ويلتفت إليه مبتسماً بوداعة بين الحين والآخر، وبجانب الصورة تعريف بالمؤلف»[١٨]. قد وظف الكاتب نصوصاً من الكتب المقدسة بأسلوب التناص المباشر مع النص المقدس فهو نقله وأشار إلى مرجعه في تلك النصوص، ولا شك أن توظيف كاتب الكتاب لهذه النصوص تحمل دلالة مباشرة متعلقة بموضوع البحث، وأحسن الراوي الوصف الفني للحالة بوساطة عملية النقل عن ذلك الكتاب للحالة التي تشعر بها الشخصية البطلة في الرواية.

ولم يكتفِ آل مسافر بالنقل المباشر عن تلك النصوص، بل وظف أسلوب التناص غير المباشر عبر تقنية الامتصاص، فيقول: «وكذلك القصة التوراتية روح جوناثان متماسكة مع

روح داود في الإنجيل القديم، التي وظفها الفنانون على مر العصور في لوحاتهم، منذ لقائهما الأول كإحدى لوحات الكنيسة الأسقفية في أدنبرة، أووو هذا كلام خطير يمكن أن يُعد معاداة للسامية! أين المدافعين عنها ليقرأوا هذا الكتاب ويخلصوني منك أيها الأصلع المتكرش؟ ما الذي يجري؟! لماذا يقع هذا الكتاب في طريقي، هل حالتي هذه تعتبر مثلية جنسية؟ أم إني أتوهم ما يحصل لي؟ ربما أجد الجواب في هذا الكتاب لا بد أن أقرأ بتمعن لعلّي أجد حلاً لما أنا فيه. أغلق الكتاب، وسرح في خياله بعيداً، بينما الدكتور أدهم ينظر إليه مستغرباً ويعاود ينظر إلى الطريق»[١٩].

تعد خاصية الرمز الديني غير المباشرة المحورة من النصوص المقدسة امتصاصاً خاصاً، لأنه لا يحيل على آية بعينها، بل على معان ربما تكون مجلوبة من آيات مختلفة متعددة، أو إنها أخذ قرآني بعيد تستطيعه براعة المبدع، وهذا ما وجدناه عند آل مسافر وهو يشر إلى قصة جوناثان مع النبي داود (عليه السلام).

وتثير لوحة الموناليزا عند الشخصية العديد من التساؤلات وبعض هذه الأسئلة تدور حول حقيقة اسم الشخصية التي وجد في النص القرآني بعض الإجابة عنه: حتى وقف أمام لوحة الموناليزا مركّزاً على ابتسامتها؛ فتخيل أنها حائرة أوحى له هذا التصور بالحيرة أكثر، فكل ما يتذكره أنه كان ضامراً لكنه غير متأكد من أن الضمور صفة كان يتصف بها؟ أم هو إسم كان يُنادى به؟ فكر إن كانت تلك المفردة صفة؛ فإنّها لن تنفعه في البحث عن نفسه، ولن يستطيع إيجاد أية معلومات تدله عليه. أما لو كانت اسماً؛ فيمكنه البحث عنه، وربما

يستطيع الوصول إلى معلومات مفيدة، لقلة من يحملون مثل هذا الاسم. حاول إقناع نفسه أنّ ضامر كان اسماً له، قبل أن يحدث له هذا التحول (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وركباناً على كل ضامر يأتين من كل فج عميق).سأل كوكل عن تلك المفردة؛ فلم يجد سوى بعض الأسماء التي لم يقل حدسه أنها قد تخصه ووجد أكثر العناوين في محرك البحث تتحدث عن تفسيرات الآية القرآنية: فج عميق. قرأ بعض التفاسير مما يخص هذه الآية؛ فجرته تلك القراءات إلى المعنى اللغوي لضامر. كانت في مجملها تصفه بالبعير الهزيل، أو أنها صفة الجواد الخفيف النحيل، وهي من صفات الخيول الحسنة لسهولة عدوها؛ أغلق البحث وفي نفسه خيبة أمل كبيرة، لأنه لم يتوصل لشيء ينفعه: فتلك المعاني اللغوية تتحدث عن الصفة وليس الاسم. ولكنه تذكر أن أحد المعاني اللغوية للمفردة يقول: (ضامر: البعير المهزول، وهو يطلق على الذكر والأنثى) فحصلت لديه تداعيات ذهنية بشكل دراماتيكي،[٢٠] يتضح بهذا النص أن الشخصية لا تبحث عن اسمها فقط ومعناه المعجمي فقط، بل تبحث عن حقيقة وجودها.

ومن توظيفات الكاتب للقصص القرآني قول الكاتب: «قرب الموقد كنت أطلب من أبي أن يحدثني بقصة النبي إبراهيم، من بين كل قصص الأنبياء التي كان يحكيها لي في الطفولة، كانت تلك القصة تأسرني، ما زلتُ أستغرب حتى لحظتي هذه، أن يُعلق إبراهيم الفأس في عنق مردوخ، بدلاً من تحطيمه كما الأصنام الأخرى!، السبب المعروف هو اتهامه بالتحطيم، حتى يُحرج الكهنة، وتتضح الحقيقة للناس المخدوعين بعبادة الأصنام. ما

كان هذا السبب المعلن يُرضي فضولي. لطالما تساءلت عن وجود سبب آخر جعله يترك هذا الصنم دون أن يحطمه».[٢١]

تمثل قصة النبي إبراهيم عليه السلام واحدة من القصص الدينية المقدسة التي لطالما استعملها الأدباء قديما وحديثاً، وقد وجد فيها آل مسافر رمزاً يعبر به عن محنة العراق وتكاثر الأصنام فيه، فالكاتب يتسائل عن سبب ترك إبراهيم لصنم مردوخ وترك الفأس على رقبته، ولم يذكر جواباً فجعل المتلقي يعيد القص القرآني ويفكر به، وربما كان يرمز إلى أنّ تحطيم الصنم مسؤولية الجميع، فالساعي لتحطيم الأصنام عليه أولاً أن يحطم عقدة الصنم بداخله.

٣-٢. الفضاء الديني

تتعدد انواع المكان بحسب طبيعة المكان واختلاف وجهات النظر إليه، فالمكان الواحد يمكن أن يكون أماكن متعددة بسبب ذلك الاختلاف. ونتيجة لذلك تعددت الأمكنة لدى الأدباء فالمكان الذي يقع فيه الإنجاز سماه (غريماس) باللامكان مبيناً بذلك أن العقل المعبّر عن الذات والجوهر لا يمكن أن ينسجم في إطار مكاني معين، فمكان العقل هو الإمكان أي نفي المكان بوصفه معطى ثابتاً،[٢٢] فما نراه قد يكون ثابتاً في دلالته للوهلة الأولى، ولكن الزمن كفيل بأن يجعل له دلالات أخرى جديدة بسبب اختلاف الأحداث وتغيّر مفردات المكان وتعدد الانطباعات فيه.[٢٣]

واستطاع بعض النقاد والدارسين والباحثين المعاصرين تعيين أنواع مختلفة للمكان، فمن خلال دراسة (بروب) لمجموعة من الحكايات الشعبية استطاع من تحديد ثلاثة أطر مكانية:

المكان الأصل، والمكان الذي يحدث فيه الاختبار الترشيحي، والمكان الذي يقع فيه الإنجاز أو الاختبار الرئيس.[٢٤] وهو بهذا يستند في تقسيمه على قيمة الحدث. فالمكان الأول يمثل البيئة التي نشأت فيها الشخصية، والثاني يمثل حالة وسطى بين المكانين وهو مكان طاريء تواجدت فيه الشخصية لفترة ما. أما المكان الأخير فهو مكان استوعب الأحداث الأخيرة لذلك العمل الروائي.

ونعتقد بأن ذلك يجعل الأحداث محوراً لتحديد أهمية المكان، فالمكان لايستطيع أن يمثل نفسه بمعزل عن الحدث، مع أن الأول هو الإطار الذي يحتوي الثاني.

ويقسّم غالب هلسا المكان في الرواية العربية إلى ثلاثة انواع رئيسة:

المكان المجازي والمكان الهندسي والمكان لتجربة معاشة،[٢٥] وهو من خلال ذلك يربط بين المكان والحدث ثالثاً. فالمكان الأول يرتبط بالشخصية ولكن لايمثل شيئاً على أرض الواقع، فهو أقرب إلى الافتراض لكنه مرتبط بالشخصية ليعطيها زخماً في الوجود الروائي.[٢٦]

٣-٢-١. المكان المقدس

هو ذلك المكان الآمن الذي تشعر فيه الشخصية بالاستقرار النفسي والصفاء بعيدا عن كل مظاهر الفساد، وتتأثر الشخصية في كثير من الأحيان بالأماكن المقدسة كالجوامع، فتصبح ذات دلالة وقيمة عالية لدى الآخرين، ولعل السبب في ذلك أثر المكان المقدس على نفوس الآخرين، الذين يتخذونها قدوة حسنة لهم، يتباركون بها. فالمكان المقدس يجعل الشخصية تتأثر به ويمنحها شعوراً داخلياً يزيد من ارتباطها به، والسبب ليس بالمكان ذاته بل بدلالة المكان الحقيقية. ويشكل

المكان الديني في العقل الإسلامي مكانة كبيرة من القدسية تعبر عنها المرويات الإسلامية، وترافقها الاهتمامات بالمكان على صعيد العمران، والعواطف الدينية التي يعبر عنها المسلمون، وتظهر فيها قداسة كبيرة للمكان إذ يعد رمزا دينيا، ومكانا تجرى فيه الطقوس الدينية وأبرزها المعتقدات الطبيعية والمعتقدات الروحية.[٢٧]

لا يقتصر توظيف الرموز الدينية على الكتب السماوية بل هنالك أماكن اكتسبت قدسيتها من الوضع الاجتماعي والممارسات المجتمعية ومن تلك الأماكن مزار السيدة مسيرة: «أشعلت الشموع والبخور بتؤدة وخشوع كأنها تؤدي طقساً عبادياً، وخرج صوتها هامساً مخيفاً كأنه ينبعث من وادٍ آخر، وأمرت جمهوري وسلوى بأن يجلسا معها حول الطبق، ويمسك كلّ منهما بيد الآخر، ويهدءا ولا يخافا من أي شيء يحدث، ويستحضرا في ذهنيهما الكعبة وأضرحة الأولياء الصالحين ومزار السيدة مسيرة، وأن يُطفئا أجهزة الموبايل؛ لأنها تشوش على روحانية الجلسة».[٢٨]

تكتسب بعض الأماكن نتيجة الممارسات الشعبية والعادات والتقاليد المحلية قدسيتها ومن هذه الأماكن التي ذكرت في نصوص آل مسافر الكعبة وأضرحة الأولياء، ويعد مكان (السيدة مسيرة) واحداً من الأماكن التي احتفت بها الرواية بوصفها مكاناً مقدساً يلجأ إليها أبناء تلك البيئة ويتحاكون عنها الحكايات التي تؤكد قدسية المكان.

٣-٣. الشخصيات الدينية

٣-٣-١. شخصية ملة عليخان، جمهوري

ظهرت العديد من الشخصيات

ذات الطابع الديني في روايات (نعيم آل مسافر) ضهر المد الديني في تلك الفترة، وتوفي ملا عليخان ممثل الدين في القرية؛ فأصبحت الفرصة مؤاتيةً لجمهوري بأن يركب الموجة، ويتخلص من اللقب والأصل معاً. أطال ذقنه، حفظ بعض المصطلحات الدينية وأصبح يتداول الكتب، ويذهب كثيراً لزيارة أضرحة الأولياء. كما صاحب مجموعة من الشباب المتشددين في المدينة، الذين يعتبرون مجرد السلام على شنشل وأشباهه حراماً. صار كل شيء عنده حرام وباطل، وكل من يختلف معه في الرأي ضالاً وآثماً. أصبح أهالي القرية يتحاشون نقاشه في أمور الدين، ولقبوه جمهوري الملا؛ فتحقق له ما أراد بالتخلص من لقب العبد. بقيت مشكلة الأصل،[٢٩] وقال أيضا: انضم إليه جمهوري بسحنته السمراء وشعره المجعد الذي أصبح أبيض كصوف الأغنام التى كان يجزها والده كان يرتدي ملابس سوداء وبيده مسبحة طويلة، يُحرك خرزاتها بين أصابعه محركا شفتيه الغليظتين. في كلتا يديه مجموعة من الخواتم الملونة كخواتم ملا عليخان. رأى يوسف في وجهه دماء أخته جمهورية، رغم هيئته المتنسكة؟ واستذكر معه طفولتهما وسنوات المدرسة، عندما توقف عن الدراسة ولم تنفع معه عصي المعلمين وتوبيخاتهم. لفتت انتباه جمهوري دهشة يوسف واستغراقه بالنظر إلى أولاد القرية أثناء حديثها، ربما فهم أنه لم يستوعب التغيير الذي حصل في القرية وأهلها؛ فلوح جمهوري مسبحته في الهواء ودور خواتمه حول أصابعه بيده الأخرى ومسد لحيته الكثة.[٣٠]

٣-٣-٢.شخصية نبيل

ومن الشخصيات التي تحمل دلالة التناقض في التصرفات عبر سير

السرد، شخصية نبيل التي جاءت في رواية كوثاريا: «أول حكم أصدره نبيل ونفذه في سن الرابعة عشرة من معاناته، كان حكم الإعدام صعقاً بالكهرباء بحق زوج أمه، أثناء نومه مخموراً، كان زوج أمه يحاول نهشه بكل ما أتاه الخمر من مخالب؛ فقاوم بضراوة لتغيير قدر تغلب عليه عدة مرات. لم تنفع شكواه الكثيرة لأمه، التي لم يُشفَ وجهها من الكدمات طيلة فترة زواجها الثاني، حتى ترملها ودخول ولدها السجن»،[٣١] يصور هذا النص مرحلة من مراحل الشخصية، فهذه الشخصية كانت تعاني منذ طفولته من تعنيف عائلي أدى إلى فقدانه لحريته بسبب قتله لزوج أمه ودخوله إلى السجن وهو كان بوابة إلى عالم الإجرام الذي سيؤثر على شخصيته فيما بعد.

وجاء وصفٌ آخر لشخصية نبيل فيقول: «حرب نبيل لم تنته بعد؛ فقد تحولت إلى نمط جديد أكثر فتكاً من سابقاتها. تلك كانت واضحة المعالم، معلنة الأهداف، أما هذا النمط الجديد من حربه فيكتنفه الغموض، غير واضح الملامح يتستر بأقدس المقدسات ليوهم المغرر بهم أنها حرب مقدسة، وليست حرب داحس متشبه بغبراء»،[٣٢] وتتضح تحولات شخصية نبيل بوساطة الوصف: «كيف صار نبيل واعظا؟ كيف تعلَّم فنَّ انتحال هذا الدور؟ يُشَرعِنُ أيَّ محظور، ويحل أي إشكال شرعي، قد يطرأ على أذهان الأتباع المخدوعين»،[٣٣] وتزداد الشخصية وضوحاً بوساطة الوصف: ربما دخل دورة سريعة مكثفة، عند شيطان رجيم، ألهمه فن الحديث وفن القيادة الذَيْنِ مارسهما نوعاً ما أيام السجن وهذا الشيطان هو الذي أعطاه هذه الثروة الهائلة من العملات النقدية الخضراء التي أراه يوزعها على أتباعه

المقربين بكرم.[٣٤]

فشخصية نبيل شخصية قلقة منذ الطفولة، دخلت السجن نتيجة إجرامها وقد دخلت السجن والتقت بمجموعة من المجرمين، وبعد أن خرجت من السجن لتعيش مرحلة مضطربة أخرى وهي مرحلة انتقال الحكم وانتشار الفوضى وهذا ما أعطى للمجرمين والعصابات فرصة لانتشار العصابات الخارجة من السجن ومنها نبيل، الذي وجد في مجال الوعظ مجالا لتوسيع نفوذه، وتكمن الدلالة السيميائية في رصد تحولات الشخصية من طبيعتها الإجرامية الظاهرة إلى طبيعتها الإجرامية المتسترة بثياب الدين.

يبدو أن الكاتب بتوظيفه لبعض الشخصيات ذات الطابع الديني أراد أن يبين بعض التناقضات التي يعيشها أفراد المجتمع، وتمثل شخصيتي ملة عليخان، وجمهوري ثنائية ضدية بين الخير والشر، فالملا عليخان يمثل الخير والفطرة السليمة، وجمهوري يمثل التحول الانتهازي لاستثمار خلو البيئة من العنصر الديني بعد وفاة الملا فتقمص شخصية الواعظ وحاول أن ينسي الآخرين تاريخه بالتعصب الديني.

نتائج البحث:

وفي ختام هذه الدراسة توصلنا إلى نتائج عدة نذكر منها:

- يعد الروائي نعيم آل مسافر من أهم الروائيين العراقيين المعاصرين، وهذا ما ألفيناه في رواياته كوثاريا وأصوات من هناك ولحياة غير مكتوبة.

- وتمثل رواية كوثرايا سرد الوقائع التاريخية على وفق تقطيعات وتنقلات ومرورات في قراءة ومراجعة التاريخ، بوساطة شدة التحولات المنولوجية في السردية الصانعة لدراما الحدث

والمحكي عموماً، بعيداً عن روزنامة اليوميات ذات الوقائع المجردة، ومنه أحال النص إلى شيء يشبه حصة في التاريخ الممسك بسجل جميع مكونات الرواية في مماثلة راهنية الزمن، ومن تشكيل لأكثر من رابط بين فصول النص، أي مونولوجيل لشخوص تتحرك وفقا لصيرورتها الذاتية بعيدا عن تدخل وهيمنة المتكلم الراوي هنا.

– أما في رواية (أصوات من هناك) فأن فكرة الرواية تبدأ بمجموعة من الأرواح حضرت في جلسة أقيمت على تل أثري، غير أن هذه الجلسة تنفلت من يد الساحرة التي أقامتها فظلت مفتوحة، وظلت الأرواح هائمة. وفي أثناء هذه الجلسة، يمر كاتب مصادفة بطريقه على التل، فتهمس له تلك الأرواح بحكاياتها، ما يسبب له مشاكل نفسية لا يتخلص منها إلا بعد كتابة همس تلك الأرواح بأصواتها المتعددة.. غير أنه يكتشف في النهاية أن تلك الأرواح تحدثت إليه كي يكتب حكاياتها على شكل رواية، لأن تلك الأرواح تعتقد أن كتابة الرواية مثل جلسة تحضير الأرواح، ما أن ينتهي الروائي من كتابتها حتى تُغلق هذه الجلسة.

– ورواية «لحياة غير مكتوبة»،ظل يجرب قراءتها في أوضاع مختلفة؛ فجرب أن يقرأها أثناء المشي في الحديقة، وأثناء الإسترخاء على النجادة في المسبح أو في النهر وقت الظهيرة، حتى ترك قراءة الروايات، ولم يعد يقرأ رواية سواها، ولا يفكر إلّا في أحداثها وفي «كافكا»، صار يعتقد أن الرويات هي الحفرة، والتي كان يقفز فيها كلما رافق والده إلى البستان متمنياً العبور إلى عالم آخر كبلاد العجائب، الذي رحلت إليه « (أليس) في مغامرتها الشيقة، فصار متيقناً أنه ربما وقع في تلك الحفرة السحرية، لكنه

ظل عالقاً فيها؛ فلم يذهب في رحلته التي كان يتمنى أن تكون شيقة كرحلة (أليس)»،ولا عاد إلى حيث كان يعيش في عالم الروايات. إنما أصبح في صحوة يعيش حالة من الهواجس والمخاوف والتساؤلات، وفي المنام تراوده رؤيا الإوز التي ألحت عليه أكثر من مرة، ولم يحكها حتى لنفسه وتمنى نسيانها، لكنها كانت تلح عليه أكثر.

– على الرغم من قلة عدد الشخصيات التي يعتمد عليها الراوي في نسج عمله الروائي الخاص إلا أنه استطاع بوستاطتها أن يعرض لنا العديد من الصفات الإنسانية الإيجابية والسلبية التي ظهرت في النص.

– لقد مازج الروائي آل مسافر بين الأحداث الواقعية والأحداث المتخيلة وخاصة في روايتيه لحياة غير مكتوبة وأصوات من هناك، وأما في كوثاريا فقد عمل على إظهار الواقع بلغة متخيلة وكأنه يوظف تقنية القناع في عمله.

– وقد وجد الراوي في التل مورد الحدث في روايته أصوات من هناك الرابط الروحي والمادي بين العالم الخارجي وأساطيرها، وبين المدينة الواقعية على سفوحه خير مسرح ليعبر عن أحداث روايته واستطاع أن ينقلنا إليه ليكشف عوالمه المفتوحة والمغلقة.

– كانت الدلالة الرمزية في أغلب نصوص آل مسافر تميل إلى عنصر المفارقة فقد جسد في روايته أصوات من هناك عناصر الطبيعة وجعلها هي من تروي الأحداث على لسانها وتذكر تجارب الناس فيها وأهم الأحداث التي حصلت لهم.

– أما في رواية لحياة غير مكتوبة فقد كانت دلالاته الرمزية قائمة على فكرة المفارقة أيضا لرصد حياة إنسان يعيش عالم الخيال الروائي بعد تأثره منذ

صغره بقصص الأطفال والروايات العالمية لكافكا وغيره عندما كبر، وهذا ما جعل الشخصية تعيش تقلبات نفسية بايلوجية أغنت أحداث الرواية بالدلالات السيميائية.

- وفي رواية كوثاريا فقد اقترب الكاتب من الرواية التأريخية التوثيقية التي سجلت أحداث تاريخية حقيقية مرت على العراق في زمن ما، فاقتربت رموزه من الواقع على الرغم من محاولته إخفاء هوية المدينة (كوثاريا) ومحاولته دفع الأحداث عن مدينة بغداد التي تسمّى كوثاريا في كتب التاريخ، وتوصف بالمدينة الدائرية كما هي كوثاريا في الرواية.

الهوامش:

١- ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن: ص ٣٦

٢- ابن جعفر، نقد الشعر: صص ١٥٤-١٥٥

٣- عبد النور، المعجم الأدبي: ص ١٢٣

٤- الرحماني، الرؤيا والتشكيل في الشعر العربي المعاصر: ص ٩٢

٥- شيماء، «التخييل في شعر نازك الملائكة»: ص ٤٥

٦- زايد، استدعاء الشخصية التراثية: ص ٢٦٢

٧- اسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: ص ١٩٦

٨- بنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق: ص ٣٩١

٩- الفراء، معاني القرآن: ج ٢، ص ٢١٣

١٠- ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان: ص ١١٢

١١- بوسقطة، «الرمز الصوفي في الشعر العربي المعاصر»: ص ٤٥

١٢- غيورغي، الوعي والفن: صص ٢٠-٢١

١٣- هيدجر، ما الفلسفة؟ وما المتيافيزيقا؟ هيلدرلن وماهية الشعر: ص ١٤٠

١٤- بارث، الخيال الرمزي والتقليد الرومانسي: ص ١٣٥

١٥- الحياني، التأويلية: مقاربة وتطبيق: ص ٢٠٨

١٦- صلاح، إنتاج الدلالة الأدبية ـ قراءة في الشعر والقصص والمسرح: صص ٤١-٤٢

١٧- جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر: ص ٥٦

١٨- آل مسافر، لحياة غير مكتوبة: ص ٦١

١٩- آل مسافر، لحياة غير مكتوبة: ص ٦٣

٢٠- آل مسافر، لحياة غير مكتوبة: صص ٧٧-٧٨

٢١- آل مسافر، رواية كوثاريا: ص ٦

٢٢- ناصيف، دراسة في الأدب العربي: ص ١٥٨
٢٣- جمعة، مفهوم المكان في السرد: ص١١
٢٤- جنداري، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا: ص ١٩
٢٥- غالب هلسا، المكان في الرواية العربية: صص ٧٤-٧٥
٢٦- الحربي، «المكان ودلالته في الرواية العراقية»: ص ٨٠
٢٧- روجيه، الإنسان والمقدس: صص٩-١١
٢٨- آل مسافر، أصوات من هناك: ص ٣٥
٢٩- آل مسافر، أصوات من هناك: ص ٥١
٣٠- آل مسافر، أصوات من هناك: ص ١٤٤
٣١- آل مسافر، رواية كوثاريا: ص ٢٣
٣٢- آل مسافر، رواية كوثاريا: ص ٢٦
٣٣- آل مسافر، رواية كوثاريا: ص ٢٨
٣٤- آل مسافر، رواية كوثاريا: ص ٢٨

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١- آل مسافر، النعيم. (٢٠١٧ م). أصوات من هناك. بيروت: منشورات دار شهريار للنشر والتوزيع.

٢- ابن السراج، أبو بكر محمد بن السريالنحوي (٢٠٠٣ م).الأصول في النحو. بيروت: مؤسسة الرسالة.

٣- ابن وهب الكاتب، أبو الحسين إسحاق الكاتب. (١٩٦٩ م). البرهان في وجوه البيان. القاهرة: مكتبة الشباب.

٤- ابن الهائم، أبو العباس أحمد بن محمد. (٢٠٠٣ م).التبيان في تفسير غريب القرآن. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

٥- ابن جني، أبو الفتح عثمان. (د. ت). الخصائص. القاهرة: مكتبة الشباب.

٦- ابن طباطبا العلوي، محمد أحمد. (٢٠٠٥ م). عيار الشعر. بيروت: دار الكتب العلمية.

٧- ابن قتيبة، محمد. (٢٠٠٥ م). الشعر والشعراء. القاهرة: دار المعارف.

٨- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على. (٢٠٠٨ م).لسان العرب. بيروت: دار صادر.

٩- أبو ناصر، موريس. (١٩٧٩ م). الألسنية والنقد الأدبي في النظرية والممارسة. بيروت: دار النهار للنشر والتوزيع.

١٠- إحسان، عباس. (١٩٩٦ م). فن الشعر. عمان: دار صادر ودار الشرق.

١١- أحمد، محمد فتوح. (١٩٧٨ م). الرمز والرمزية في الشعر المعاصر. القاهرة: دار المعارف.

١٢- أسعد قحطان، عبد الكريم. (٢٠٠٢ م). الصورة في شعر لطفي جعفر. الإمارات العربية المتحدة: دار الثقافة العربية.

١٣- إسماعيل، ارسلان. (٢٠٠٢ م). الرمزية في الأدب والفن. القاهرة: مكتبة الحديثة.

١٤- اسماعيل، عز الدين. (١٩٧٢ م). الشعر العربي المعاصر - قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية. بيروت: دار العودة ودار الثقافة.

١٥. الأصفر، عبد الرزاق. (١٩٩٩ م). المذاهب الأدبية لدى الغرب مع ترجمات لنصوص لأبرز أعلامها. بيروت: منشورات اتحاد الكتاب العرب.

١٦- آل مسافر، نعيم. (٢٠١٨ م). لحياة غير مكتوبة. بيروت: دار الرافدين للطباعة والنشر والتوزيع.

١٧- _____. (٢٠١٩ م). رواية كوثاريا. بيروت: دار غيداء للنشر والتوزيع.